

الخميس 12-05-2011

1350-قراءة في كراس التدريب

عودة إلى:



قراءة:  
في كراسات التدريب  
(نجيب محفوظ)

إعادة تجميع الحلقات من 11 - 15

المقدمة:

كما اتقنا

سوف أنشر ما سبق نشره في خمس نشرات متتابعة آملًا في  
تواصل المتابعة خمس صفحات معًا، هذه الحلقة الثالثة  
(وبقيت حلقتان)

\*\*\*

من الكراسة الأولى

صفحة 11

نجيب محفوظ

أراك عصي الدمع

امتلأ الهوى

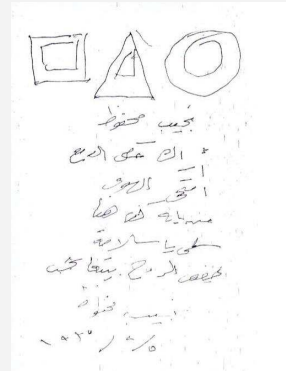
من قد إيه كنا هنا

سلمى ياسلامه

خفيف الروح بيتعجب

نجيب محفوظ

1995/2/5



## القراءة :

ربما هذا ما كنت أعنيه حين قلت عن كتابة التدريب في اليوم السابق أنها انتهت بأبي نواس وهو يصف آثار ما جرى في إيوان كسرى، في جو من البهجة والأنس والمجبة والشرب، وأنه امتد عند الأستاذ إلى اليوم التالي ، فيلاحظ هنا أنه:

**أولا:** كتب "نجيب محفوظ" مرة واحدة (ربما لم يكن محتاجا اليوم إلى "تسخين")

**ثانيا:** أن كل التدريب كان أغان جميلة ، غرام ، وعتاب، وشوق وبهجة ، بحيث قد لا يحتاج ما ظهر على قمة الوعي اليوم إلى البحث أكثر من استقبله بما هو:

"أراك عصي الدمع"، "امتي الهوى"، "من قد إيه كنا هنا"، "سلمى ياسلامة"، "خفيف الروح بيتعاجب"

ولو أعدنا ترتيب هذه البهجة، وربطنا احتمال أن يكون هذا اليوم قد حمل له رسالة قرب السلامة، فاستجلب بكل هذا الحب والطرب ، فإن الأمر يمكن أن يبدأ باستشعار السلامة لينتهي بخفيف الروح وهو يتعاجب فيكون الترتيب كما يلي:

سلمى ياسلامة

من قد إيه كنا هنا

أراك عصي الدمع ،

امتي الهوى ....

خفيف الروح بيتعاجب

الذي يسمع عن شيخ ، في هذا العمر، أصابه ما أصاب شيخى، وعن ظروف مقاومته، وصعوبة حياته اليومية، لا يمكن أن يخطر على باله أى احتمال أن يكون هو هو "خفيف الروح (الى) بيتعاجب"، أو أنه يحاول أن يتذكر "من قد إيه كنا هنا"، أو أنه ينتظر أن "الهوى يجى سوا"،

هذا الرجل "العصي الدمع"، حين تنسم رائحة السلامة، (سالمة يا سلامة) راح يرقص بالكلمات

.....

ياه ، يا شيخى الجليل

لماذا ذهبت هكذا مبكرا ونحن أحوج ما نكون إلى أن نتعلم منك كيف الحياة؟؟

**لم قلتها شيخى "كفى" !؟؟**

لكن ما قدمت علمنا "الطريق" إليه عبر شعابها:

لما عرفت سبيل دربك نحوه ،

كدحاً إليه :

ودخلت في عمق العباد تعيد تشكيل الذي غمرته أمواج  
الضلال، حتى تشوه بالعمى والجوع والجشع الجبان،

شيخي الجليل:

ما دمت أنت فعلتها

فانعم بها

واشفع لنا

أن تحمل العهد الذي أودعنا

\*\*\*

شيخي الجليل:

ثم مطمئنا،

وارجع إليه مُبدعاً،

عبر البشر،

وادخل إليها راضياً،

أهلاً لها.

هذا هو ما أنهيت به قصيدتي في رثائه، وقد عاد إلى الآن  
لألومه من جديد في نهاية قراءتي لصفحة التدريب رقم (11)

"ياه، يا شيخي الجليل

لماذا ذهبت هكذا مبكراً؟"

\*\*\*

صفحة (12)

نجيب محفوظ

الله يهدي من يشاء

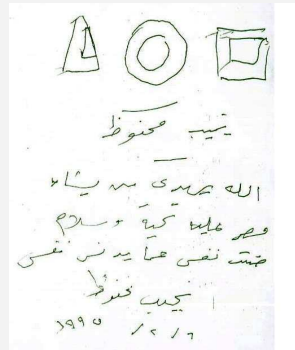
مصر عليك تحية وسلام

(أو : محمد عليه تحية وسلام)

(لم أتمكن من ترجيح كفة أيهما  
أقرب إلى صحة ما كتب برسم هذه  
الكلمة)

صنت نفسي عما يدنس نفسي

نجيب محفوظ 1995/2/6



### القرءة :

لست متأكدا إذا كان يعنى نفس المعنى، حين يكرر نفس الجملة، أو العبارة، أو المقطع في أيام تدريب متتالية.

ناقشت فيما سبق ما وصلني من كل من "صنت نفسي عما يدنس نفسي" (الحلقة "الخامسة" بتاريخ 7-1-2010) وأيضا، "الله يهدى من يشاء" (الحلقة "الثامنة" بتاريخ 28-1-2010)، أنا - شخصا- أرجح أنه مهما كرر، فهو يعنى معنى ومعان متنوعة كل مرة، لكننى أشعر أنى أعجز عن إثبات ذلك، ما لم أناقشه في ذلك، وأنا لم افعل.

كذلك لن أعود للإشارة مرة أخرى إلى أنه كتب اسمه في البداية أم لا، وهل ذكر اسم كرميته أم لا مما سبق أن ناقشته بما فيه الكفاية وأيضا هذه الأشكال التي ابتدعها ليدرّب يده على الاتساق.

الجملة الجديدة هنا هي "مصر، عليك تحية وسلام"، أو "محمد عليه تحية وسلام"

لست متأكدا، ويمكن للقارئ أن يفك شفرة خط يده بنفسه، وهو يتذكر أنه كثيرا ما تسقط منه آخر مقطع في الكلمة.

هذا التعبير "عليك تحية وسلام، يقال في حب الوطن"

### وطنى عليك تحية وسلام

ما أشرقتم شمس وجن ظلام

لك في الفؤاد محبة قدسية

في وصفها قد حارت الأقلام

كما أن هذه التركيبة، قد وردت أيضا بكثرة في حب ومديح رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثلا في موشح أقبل عليك تحية وسلام:

### أقبل عليك تحية وسلام

يا ساهراً والغافلون نيام

بالله جُدْ بتوجهٍ وتعطف

يا سيداً للمرسلين إمام

هذه مجرد إشارة أستطيع أن أدخل منها إلى علاقة شيخى بكل من مصر، ومحمد صلى الله عليه وسلم

إذا كان لي أن أستعمل كلمة "الخب" استعمالا راقيا رائقا، فمن حقى أن اصف كلا العلاقتين بأنهما كانتا علاقة حب، حب حقيقى مثل الذى يتكلم عنه الغارقون في أمواج الحب بكل مستوياته ودرجاته، حب الأم، حب الأخ، حب الإبن، حب الحبيب... الخ، من أهم تجليات الحب الذى عايشته مع شيخى

حيا، متوهجا، دائما، متجددا، هو أنه كان يحب مصر، ويجب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ويجب الله، (فضلا عن حبه لسعد زغلول والنحاس والناس) ووصلتني معنى الشفاعة التي ينتظرها من حبيبه محمد عليه السلام، وهى أن يسهل له حب الله، سبق أن ذكرت في هذه التدايعات (في شرف صحبة نجيب محفوظ، نشرة: 14-1-2011) على قول فرانسوا ميتران عن احتمال ملل الخلود في الآخرة، وكيف لام الأستاذ ميتران أنه يفتقر إلى الخيال وذكر الأستاذ تدعيما لرأيه أن الخيب لا يمكن أن تشعر بجواره مهما طالته صحبته بالملل، وكان يعنى جوار الله حبا،

ما وصلنى أيضا هو أن علاقته بمصر هى علاقة حب خالص: مصر الأرض، ومصر الناس، ومصر التاريخ، ومصر القاهرة، عرفت أنها علاقة من نفس نوع علاقته بمحمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، محمد رجلا، وقائدا، وإنسانا، وزوجا، وأبا، ومبدعا، وصانع حضارة ممتدة، وكلا العلاقتين كانتا تحت مظلة حبه لله.

ذات ليلة، كنت أجلس معه وحدنا في فليلة المنيل بجوار كوبرى الجامعة، وكان برد الشتاء لم يزحف بعد، واستأذنا مدير المكان أن الجزء المغطى من الحديقة الذى اعتدنا أن نجلس فيه مع دخول الشتاء، مشغول هذه الليلة بمجل عرس، وأن الجو بديع طازج، يسمح بأن نجلس هذه الليلة استثناء في الحديقة، أحكم شيخى ياقّة معطفه حول رقبتة، ووافق بكرم طيب، وجلسنا في الحديقة بالقرب من المكان المغطى الذى سوف يقام فيه الفرح، ولم أحش عليه من الصخب والأغانى والضوضاء لأسباب لا تخفى، إلا أنه حين بدأت الزفة ووصلتنا بعض أصواتها سألتى هل بدأ الزفاف، وأجبتته بالإيجاب، فدعا للعروسين وكأنه والدهما أو جدّهما أو أقرب، وأشرق وجهه وهو يرجو لهما السعادة.

ثم وصلتنا أقرب فأقرب بعض أصوات الزفة والدفوف والترديد والزغاريد، فأصاخ السمع وكأنه يدبش لما يصله برغم عدم تمييزه التفاصيل، سألتى عما إذا كانوا يغنون "تخطرى يا حلوة يا زينة مثل زمان:، أم ماذا؟ قلت له: إنهم يزفون العروسين بأسماء الله الحسنى، قال لى مندهشا بفرحة " لا يا شيخ؟! "، قلت له إن هذا تقليد جديد، يتمشى مع مد السلوك الإسلامى، "بما له" و"ما عليه"، هذه الأيام، تغير وجهه قليلا وقال: خلنا الآن "فيما له"، ثم أخذ يصف لى كيف كان ينجذب من أعماقه مع كل اسم من أسماء الله حين يسمع الشيخ النقشبندى وهو ينشدها، قال ذلك وهو يشير بيده من قلبه إلى السماء، وصمّت، فصمّت. هذا ما تعلمته من عشرتى له حتى اعتدته:

حين تحضره ذكرى، يريد أن يستبقيها مدة أطول بصمته، تكون المشاركة هى صمت مقابل، مفعم بالسماح .

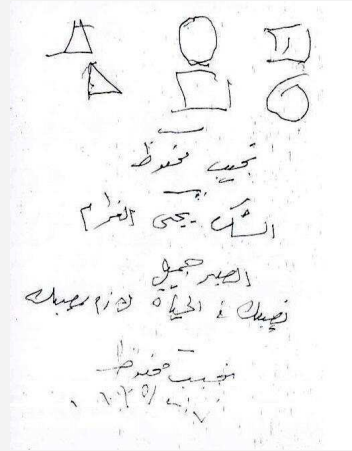
حبه لله، ولرسوله، ولمصر، يصل لمن يريد، دون ذكر المحبوب تحديدا، لو أراد أحد أن يعرف كيف يجب هذا الرجل الله ورسوله وطين أرضه وناس بلده ، فما عليه إلا أن يعاشره، فيصله ما

تيسر من فيض هذا الحب، دون أن يتبادل معه حرفا واحدا عن ذلك، وهذا يكاد يكون عكس ما يرد في الأحاديث الصحفية السخيفة التي يضطرونه بإلحاح، أن يجيب على تساؤلاتها المسطحة، فيجيب بكل طيبة وهدوء بما تستطيع الألفاظ أن تحمله، وما أقله بالنسبة لما يصل إلى من يعايشه في هذه المناطق: حبا خالصا رائقا، عميقا، هادئا، صاحباً بلا كلمة واحدة،

ياه !!!.

\*\*\*\*\*

صفحة (13)



تجيب محفوظ

الشك يجي الغرام

الصر جميل

نصيبك في الحياة لازم يصيبك

تجيب محفوظ

1995/2/7

القراءة:

أما عن الصبر، وتكرار ذكره، فقد ناقشناه في نشرات سابقة في سياقات مختلفة: في الحلقة الرابعة أثبتنا ما كتب في 31 ديسمبر 2009 نفس التعبير "الصبر جميل" جاء باكرا بعد خروجه من المستشفى بأسابيع، كما أنه جاء هناك بعد دعائه لكريتيه، بأن يحفظهم الله ويباركهم، وتمنيه أن الشباب يعود يوما، ثم ذكر أن الصبر جميل، ليتبعه مباشرة "إن الله مع الصابرين"، كل هذا أشعرتني وأنا أقرأ كلمة الصبر هناك أنه كان بمثابة إعلان مضيء لقدرته على استيعاب حادث الاعتداء ومعقباته،

أما في صفحة 25 / 1 / 95 فقد كتب "الله مع الصابرين"، فقط بعد اسمي كريتيه، ثم أخفها بأنه "سبحان الملك الوهاب" لينهى التدريب بـ: "سلمى يا سلامة، وخفيف الروح بيتعاجب" وقد وصلتني بهجته تلك المرة بما جعلني أشعر أن الربط بين "أن الله مع الصابرين"، حتى وصل إلى "خفيف الروح بيتعاجب" هو إعلان بهجة هي الدليل على أنه قد اختار الصبر بحض إرادته.

أما هنا فقد الحق بقولة "الصبر جميل" أنه "نصيبك في الحياة لازم يصيبك"، وكأنه يتقبل جرعات الواقع بشكل أكثر أما وتحديدا واحتراما معا.

نرجع إلى ما بدأ به تدريبه هذا اليوم - بعد كتابه اسمه - "الشك يحى الغرام":

حين قرأت هذه العبارة "الشك يحى الغرام: خطر لى لأول وهلة أن أستدعى حديثنا معا عن "عطيل"، أو أن أسترجع بعض ما دار في إبداعاته عن علاقة الغيرة بالحب بما لفت نظري وتناولته في أكثر من موقع نقد، وخاصة فيما لم أنشره بعد من بقية نقدي للحمة الخرافيش، أو اللص والكلاب، أو "الطريق" مما أدعو الله أن اتكن من الرجوع إليه وتكملته ونشره.

فجأة عدلت عن ذلك حين خطر لى أن الأستاذ وهو أثناء التدريب، لا تحظر على باله مثل هذه القضايا بحيث تتيح لمثل هذه العبارة أن تطفو على قمة جبل مستوى الوعي الذى تحرك في هذه المنطقة. ثم فجأة أيضا حضرنى صوت أم كلثوم من بعيد، لماذا؟ لست أدري، خيل إلى أن لها أغنية فيها هذه الكلمات، تذكرت "أراك عسى الدمع"، واستبعدتها، ثم تذكرت "يا أمر الفراق"، وتحتها جانبا، ولم تسعنى الذاكرة أكثر من ذلك. رحت أستشير سيدنا جوجل فإذا به يعيدنى إلى ما لم يحظر لى على بال، وإذا بأمر كلثوم لها أغنية قديمة جميلة بهذا الاسم "الشك يحى الغرام"، غنتها لأول مرة عام 1928 ألفها أحمد رامى، ولحنها محمد القصبجى، من أين تأتى هذه الأغاني إلى وعى هذا الشاب (الشيخ!!) الجميل في هذه الظروف الخاصة جدا؟ وكيف يستطيع أن يسمح لهذه الأنغام أن تغمره حتى تظهر قممتها على السطح هكذا برغم ظروف الإعاقة، والسن، وبرغم ظروف البلد القاسية التى يعايشها معنا يوما بيوم؟

اقتطفت من هذه الأغنية ما أختم به قراءة اليوم، وأعتقد أنه أقرب إلى صبره الجديد الجميل أيضا، وإلى بهجته العميقة في نفس الوقت، تلك البهجة التى تجعل له ولنا وبه هذه الحياة برغم كل شيء.

الشك يحى الغرام

ويزيده نار ولهيب

الهجر فيه والخصام

يجلى في عين الحبيب

.....

.....

.....

هو القمر عنده خير

عن طول سهدى  
هو البلبل لما يرتل  
يعرف وجدى!!

\*\*\*\*\*

صفحة 14

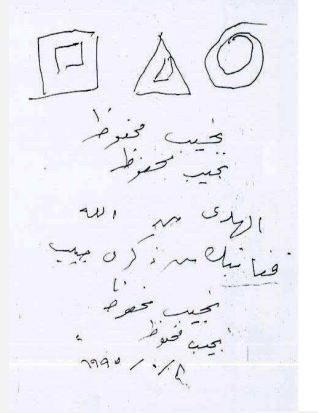
نجيب محفوظ  
نجيب محفوظ

الهدى من الله  
قفا نبك من ذكرى حبيب

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

1995/2/8



#### القراءة:

ليس في كتابته اليوم جديد، فقد سبق أن ناقشنا بإفاضة متوسطة، ما ذا يمكن أن يعنى تكرار هذا المعنى "الهدى من الله" (نشرة الحلقة الثامنة بتاريخ 28-1-2010).

الجديد هنا هو هذا الشطر الذى هو بداية معلقة امرؤ القيس " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل..."

لا أعلم مدى تعلق شيخى بالشعر الجاهلى بالذات، وإن كنت أذكر أنى سألته ذات مرة عن من يفضل من الشعراء، ولم يحب ظنى، برغم اختلافى معه، أن جاء المتنبى فى المقدمة، وأحمد شوقى العرب، فأجابنى بما لا أذكر الآن منهم إلا طاغور، وإن كان قد نهى إلى صعوبة ترجمة الشعر من حيث المبدأ، بحيث يمكن أن نظم الشعر والشاعر لو قرأناه بغير لغته، ووافقته جدا على ذلك.

ذكر امرؤ القيس هنا هكذا فى كراسة التدريب، قد أعاد لى بعض التكريرات معه، التى لم أدونها فى حينها، ومن ذلك:

ما يتعلق بأحد أصدقاء يوم الجمعة (من سيأتى ذكرهم بعد) وهو المرحوم الأستاذ الدكتور محمد راضى، أستاذ أمراض



القلب، في كلية الطب، جامعة ، وكان هذا الأستاذ موسيقاراً معتمداً كملحن من الإذاعة، وصديقاً أو تلميذاً لـ محمد عبد الوهاب كما أبلغنا، وكان دارساً للموسيقى بشكل شبه أكاديمي، كما كان يعشق اللغة العربية عشقاً لا مثيل له، كتب فيها كتاباً لم تنشر إلا بعد وفاته المفاجئة المؤلمة لنا جميعاً، هذا الأستاذ الدكتور رحمه الله كان يتقن أيضاً اللغتين الفرنسية والإنجليزية كأهلها، وهو قبل ذلك وبعد ذلك ، أستاذ كما ينبغي أن يكون الأستاذ في كلية الطب، وهو يافع ناضج يفيض بالحيوية والحب، وقد أعود إلى ذكر بعض حضوره لاحقاً إذا لزم الأمر (غالباً من الذاكرة) . ما زلت لا أنساه وهو يردد على الأستاذ ما استنتجه من موسيقى ونبيض في معلقة امرؤ القيس هذه، وبالذات ، وهو يكرر شطر البيت " فسلى ثيابك من ثيابي تنسل".

**أغرّك مني أن حبك قاتلي**

**وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل**

**وإن تك قد ساءت ك مني خليقة**

**فسلى ثيابي من ثيابك تنسل**

أذكر كيف كان المرحوم أ.د. راضي يمثل بيديه، وبصوته الجهوري، وهو يبين لنا ونحن حول الأستاذ: جمال هذه اللوحة التشكيلية، وكيف امتزج الثوبان ببعضهما البعض، بهذا التلاحم المتناغم الذي جعل من الشخصين جسداً وروحاً لنا واحداً، وكيف أن امرؤ القيس صور احتمال انفصالهما عن بعضهما البعض، كيف ينتزع كل منهما نفسه من الآخر بهذه الرقة الطروب، بكل ما يصحب ذلك من ألم وحب وتسليم وإباء، وكيف أن "تنسل" إنما تعبر عن تلقائية استجابة "الشيء" ليكمل إرادة البشر، وكأن الجماد تدب فيه الحياة فيكمل بإرادته إرادة من بدأ تحريكه، وأذكر أن ذلك أحضر لي بيت الشعر الذي "نضرى" فيها النار وحدها "فتضرم"، بعد أن بُعثت بفعل فاعل كما جاء في معلقة زهير بن أبي سلمى.

**وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ**

**وَمَا مَوْعِظُهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ**

**مَتَى تَبَعْتُوهَا تَبَعْتُوهَا ذَمِيمَةً**

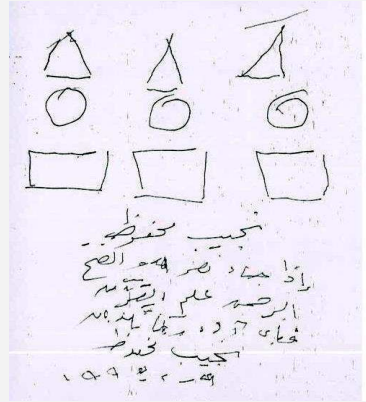
**وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضَرَّمِ**

.....

.....

\*\*\*\*\*

.....  
 .....  
 نجيب محفوظ  
 إذا جاء نصر الله والفتح  
 الرحمن علم القرآن  
 فبأى آلاء ربكما تكذبان  
 نجيب محفوظ  
 1995/2/9



### القراءة:

جاء التدريب في هذه الصفحة متواضعا جدا ، وقاصرا على آيات من كتاب الله عز وجل،

"إذا جاء نصر الله والفتح"

يا ترى أى نصر كان ينتظره شيخى هذه الأيام، بل وأى فتح أيضا؟ لا أتصور أن ما حضره من جبال الوعى التى حركها تدريب اليوم، هو قاصر على أسباب ومناسبة تنزيل هذه الآية تحديدا، هذا الرجل - كما وصلنى منه - ينتظر نصر الله لنا، ولكل الناس، فى كل مجال، وبكل وسيلة، أى والله، كما أنه ينتظر أن يفتح الله علينا فتحا حقيقيا تحطم به الأصنام، والأسوار فى وقت واحد، وباستمرار.

أن ينتظر نصر الله لنا (وللناس)، وفتح الله علينا (وعلى الناس)، أصبح هذا وذاك يمثلان لى حقيقة تفاؤله، وكم ناقشته فى مسئولية التفاؤل، وبالذات حين كنت أتألم من تفاؤل شخصيا، وأنا أحكى له آمل فى حركية الشباب بالذات، فى مواجهة كل الهجوم الذى يناهم مما شاع فى الإعلام والفتاوى والبيكاه على أطلال أخلاق الماضى مثن يصفون شباب اليوم بالفقاهة والضياع والسطحية، كل هذا كان مرفوضا منى أساسا، ومنه أحيانا كثيرة، كان يؤنسنى تفاؤله هذا بقدر ما تصورت أنه يحترم تفاؤلى، بل إنه أحيانا كان يفرح جدا حين أخبره برأى أن الشباب عبر العالم أصبح يتواصل بينهم وبين بعضهم البعض بعيدا عن وصاية الإعلام المركزية، وأن هذه هى إشارة لبدأ تكوين شبكية وعى إنسانى أشمل، يتكون بفضل التكنولوجيا الأحدث، والنشاط الشبابى الأكثر طراجة، بحيث تفتح باب الأمل لرفض الوصاية العولمية المركزية، وغسيل الأبحاث البشرية لصالح قوى الغطرسة والاستغلال، كان يكاد لا

يصدق، لكنه يفرح بشكل لا يخطئه أحد، وكأنه أحد هؤلاء الشباب الذى يقوم بتشكيل الوعى البشرى التكاملى الجديد.

الآية الكريمة الأخرى هى بداية سورة الرحمن، وقد أثبتت منها فى التدريب أولها: الرحمن، علم القرآن، "ثم الآيات المتكررة بشكل هندسى سيمفونى رائع طوال السورة "فبأى آلاء ربكما تكذبان".

لم أناقشه فى هذه الآية الكريمة بوجه خاص، وإن كنت أذكر أن جاء ذكر سورة الرحمن كلها فى مقام آخر. أذكر أننا اتفقتنا على إجماعات جملها، دون الغوص فى دلالة ألفاظها، لكننى أذكر أنه شاركتى الرأى فيما توحىه سورة "اقرأ" أول نزول القرآن الكريم، وما صاحبها من اعتذار أو إعلان عن عدم القدرة "ما أنا بقارئ"، وقد أبلغته كيف أن هذا أوحى لى أن الأمر بالقراءة هنا ليس له أية علاقة بأن الرسول أمى لا يعرف القراءة والكتابة (وإن اختلف معنى "أمى" عند الباحثين) ولا علاقة له أيضا بالقراءة التى نعرفها أصلا، وإنما وصلنى أنها إذن بالكشف للداخل والخارج على حد سواء بالطول والعرض مما لا مجال لتفصيله الآن هنا.

سورة الرحمن التى أسعدتنا أطفالا ثم كبارا دون، أو بغير، حاجة إلى فهمها جيدا، تبدأ بأن الله سبحانه "علم القرآن" وليس هنا- الذى أنزل القرآن، أظن أننى ربطت بين ذلك وبين أول آية نزلت "اقرأ"، ثم لعلنى أظن إلى أهمية أن نلاحظ موقع "خلق الإنسان" واكتماله بالآية اللاحقة "علمه" البيان،

- بمنهجى هنا - يبدو أن هذه القضايا المكثفة تحتاج للتقاطها وعبا نشطا أكثر مما تحتاج تفسيرا معجميا قد يثير خلافا فقهيا عن "خلق القرآن" وما شابه،

وربما، كانت تلك القضايا وما إليها هى التى تحركت فى هذا التدريب فجاءت هذه الإشارة هكذا.